الفنون الجميلة والبناء

عند قدماء المصريين

١

قبل عهد الاسر الفرعونية — (اي قبل سنة ٣٤٠٠ قبل الميلاد) : —

بنى اهالي ذلك العصر منازلهم بسعف النخيل المخلوط بالطين والراجح انهم استعملوا اللبن المفرغ نفسه . اما اثاث تلك المباني فكان بسيطاً سليم الذوق ومنهُ الملاعق العاجية ذوات الايادي المزخرفة ورغم جهلهم آلة الخراف الحديثة زانوا اوانيهم الخزفية بالرسوم الهندسية البديعة وصور الحيوانات والسفن والناس والطيور والاسماك والاشجار . وكانوا يطلون خزفهم بمادة زجاجية مع انهم لم يصنعوا الآنية الزجاجية مطلقاً. وقد عثر على تماثيل كثيرة خشبية وعاجية وحجرية من تلك العصور غير متقنة الصنع تمثل سيداً فن الحفر الذي بلغ شأواً بعيداً في مبدأ حكم الاسر التاريخية . وبمرور الزمن ابدلت الصناعة الخزفية بالحجرية فاخرج الحفارون اواني حجرية بديعة . وينسب الى هذا العصر اقدم الآثار الحجرية المصنوعة من الصوان

عهد الاسر الاولى — (من سنة ٣٤٠٠ الى سنة ٢٦٨٠ قبل الميلاد) : —

ارتقى فن الحفر والنقش كثيراً في هذا العصر كما يستدل من الالواح الاردوازية التي وجدت في جهة مدينة الكاب حيث ثبتت مهارة الاقدمين في الرسوم البارزة

ولما حكمت العائلة الثالثة القطر بدأ الحفارون يتقيدون تدريجاً بنظام واحد اضطر في آخر الامر ان يراعيهُ كل حفار ولا يحيد عنهُ . والفضل في اكتشاف اخبار تلك الاسر يرجع الى حفائر الاستاذ بتري في جهة العرابة

عهد الدولة القديمة — (التي حكمت القطر المصري من سنة ٢٦٨٠ الى سنة ٢٤٧٥ قبل الميلاد) : —

بلغت الفنون الجميلة في هذا العهد مبلغاً عظيماً وهي تمتاز عن امثالها في العهد اليوناني بمطابقتها للواقع واقتصارها على الادوات المنزلية والاحوال المعاشية . من ذلك كثرة رسم زهرة اللوطس (النيلوفر) على ايدي الملاعق وكؤوس الخمر وصنع ارجل السرر

والمضاجع في شكل سيقان الثيران وتزيين السقف بالنجوم تشبيهاً لها بالسماء واستعمال العمد التي على شكل جذوع النخيل وسوق البردي وحزم البشنين وزخرفة ارافي القصور بمناظر المستنقعات الخاوية للثيران وانواع الاسماك والطيور

وعليه فالفنون الجميلة وقتئذ كانت مقتصرة على الاشياء النافعة لان المصري لم يهتم بالاتقان الهيئة او الشكل من اجل الجمال والرونق فقط وهذا الامر يشاهد ايضاً في تماثيل تلك العصور فانها لم تصنع لعرضها في الاسواق بل لنصبها في القبور لما لها من الفائدة في العالم الآخر وهذا من اهم الاسباب التي حدت الى تقدم فن الحفر في تلك العصور . وتمتاز رسوم المعابد والنقوش التي على جدران هياكل المملكة القديمة ببروزها وهو امر يقتضي مهارة عظيمة في تقدير درجة البروز وتناسب الحجوم — وهما امران تحتم مراعاتهما في رسم الاشياء الكروية او البارزة فوق سطح مستوٍ . وبالرغم من تقدم الرسم عند المصريين ومعرفتهم خطأهم فيه فانهم لم يغيروا النهج الذي جرى عليه اجدادهم وهو يتلخص في رسم اوجه الاشخاص واكتافهم كما تشاهد من الامام اما باقي الجسد فيرسم كما يرى من الجانب . وبالرغم من هذا الخطإ فان الرسوم جاءت غاية في الجمال

كان الحفار المصري حينئذٍ الوحيد في تمثيل جسم الانسان على الاحجار ولما كان اهل زمنه قليلي الملابس يرى هو بطبيعة الحال في تمثيل المرأة . وما يشاهد من الاتقان في ظاهر تماثيل المملكة القديمة سببه انها لم تصنع لتمثل امراً خاصاً . لذلك لا يرى الانسان عليها ملامح الانفعالات النفسية التي تختلج في نفوس اصحابها

ولم يعثر حتى الآن على الرمنازل كبيرة او صغيرة من تلك العصور سوى المصاطب الحجرية الضخمة . واهم ما بلغهُ فن البناء في ذلك الوقت اقامة المصاطب والاهرام والمعابد

اما هندسة المعابد فتتلخص في تخاطيط عمودية وأفقية متقاطعة غاية في البساطة

ومع ان بناء القبور كان معروفاً الاَّ انهُ لم يستعمل كثيراً . اما السقف فكانت تقام على عمد من الحجر انبت بعضها على الشكل البعض الآخر اسطوانيةً . وتعتبر هذه العمد اقدم العمد التي من نوعها في فن البناء . وارتقت صناعة العمد في عهد الاسرة الخامسة فصنع منها كثير على هيئة النخيل او سوق البردي مع تناسب تام الاجزاء . ولم يتوصل اهل بابل الى استعمال العمد رغم تقدمهم الكثير في تشييد المباني الضخمة

وهكذا يعود الى مصر فخر السبق في حلّ لغز تشييد الفراغ المعماري كما ترى في شكل ١

افي اضربت عن الاكل تُطعَم غصباً

بيشون افريقية تبتلع طائراً كبيراً
مبتدئة من رأسه

بيشون هندية تضغط على فريستها
مقتطف مارس ١٩٢٦
امام الصفحة ٣٠٥

الدولة المتوسطة — ويبدأ تاريخها من سنة ٢١٦٠ وينتهي في سنة ١٧٨٨ قبل الميلاد : —

لم يحفظ لنا التاريخ من آثار الدولة المتوسطة الا القليل . لكن يستدل من مقابر ذلك العصر ان صناعة البناء حينئذٍ بقيت كما كانت في المملكة القديمة . ويلحظ ان المعبد المدرّج الذي شادهُ احد ملوك العائلة الحادية عشرة بالدير البحري في ناحية الاقصر اتخذهُ احد كبار مهندسي البناء في عهد الامبراطورية انموذجاً للباني واستنتج من البقية الباقية التي وجدها الاستاذ بتري مكان قصر الفرعون (اللابرنث) ومن وصف سترابون لذلك القصر ان ذلك البناء كان غاية في العظمة والابهة بصرف النظر عن حجمهِ وضخامتهِ اما بناء المنازل فانعدمت آثارهُ كلية . وقد عثر الاستاذ بتري على خريطة لمدينة اللاهون بالقرب من هرم سيزوستريس الثاني تظهر رسم احياء العمال واتصالها بعضها ببعض وتكديسها بعضها فوق بعض . والحق يقال اننا لم نهتد للآن الى منازل سراة القوم لذلك نجد معلوماتنا عن عمارتها نزرة

ولقدمت الفنون الجميلة في هذا العصر عما كانت عليهِ ايام المملكة القديمة . فبلغ حفر الاحجار درجة كبيرة من الاتقان وضخامة الحجم . من ذلك تمثالا اضجعت الثالث المنصوبان على بحيرة موريس بالفيوم فان ارتفاع كلٍّ منهما يبلغ احد عشر متراً . ثم اخذت التماثيل تكثر في كل انحاء البلاد وهي تشهد للمصريين بالمهارة في فن الميكانيكا والتصوير . ويلاحظ من مقارنة تماثيل العائلة الثانية عشرة بتماثيل المملكة القديمة ان الاولى أقل مشابهة للحقيقة واضعف تأثيراً في النفوس لان المثّال (النقاش) اصبح مضطراً لمراعاة بعض القواعد القديمة دون ان يحيد عنها . لذلك اخذ الملوك والامراء يرجعون في صناعة تماثيلهم الى الاحوال والاشكال القديمة فتأخر بذلك فن الحفر من حيث الزهو والمطابقة للواقع عما كانت عليهِ ايام المملكة القديمة . لكن عثر بعض الباحثين على تماثيل او اجزاء تماثيل لا تظهر عليها آثار التكلف في الصنع وتجسم فيها معالم الحياة ونقاسيم الوجه وتفاصيل العضلات وتؤخذ هذه التماثيل برهاناً ساطعاً على مهارة صناع تلك العصور وطول صبرهم . وبديهي انهُ كلما لانت مادة الحجر الذي يصنع منهُ التمثال زادت مقدرة المثّال على اظهار براعتهِ في النقش والتمثيل . خذ مثلاً تمثال الامير (اوب رع) الذي في المتحف المصري بالقاهرة فيهِ يتجسم جمال الحيا ولطافة معالم الجسم

الدكتور حسن كمال